ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Sanaa Jabbar Hayawi
Munhi Al-Aboudi

Directorate of Education of Dhi Qar Governorate

Email:
Werw2260@gmail.com

Keywords:

Text, Body Culture, Productivity of Meaning

CC BY

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 20.Aug.2025

Accepted 14.Oct.2025

Published 10.Febr.2026

Female Body Culture: "The Modernity of Writing and the Productivity of Reading"In the Story "Women at the Equator" by Zainab Hanafi.

A B S T R A C T

Reading the text and reproducing the meaning requires a conscious modern thought, which is a necessary condition for the process of understanding and responding to discourses. The process of reproducing the traditional context in accordance with modern meanings reflects the value of communication and the purpose of communication, but the first and last controller is the recipient who captures the deep meanings. Here, the linguistic fabric determines the interactive communicative path, i.e., determining the process of constructing the text and its themes.

The theme of the female body is a spatial authority that carries the hidden intellectual systems around which the axis of prohibition and non-prohibition and the manifestations of male authority and its constants revolve. The process of untying the nets and deep gaps begins with liberating the axial centering, that is, the area of conflict between the writing self and the passive reception.

The traditional system's flaws or shortcomings in understanding context are addressed by modern writing, achieving a logic of balance between awareness and the power of reception. This logic places the text in explicit and implicit confrontation, limits the focus to highlighting value and significance, and establishes a modern awareness that reproduces meaning and reflects the intentionality of communication.

© 2026 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol62.Iss1.4665

ثقافة الجسد الأنثوي "حداثة الكتابة وإنتاجية القراءة" في قصة (نساء عند خط الاستواء) لـ (زينب حنفي)

م. سناء جبار حياوي منهي العبودي
مديرية تربية محافظة ذي قار

الملخص:

إنَّ قراءة النَّص وإعادة إنتاج الدلالة يتطلب فكرًا حداثويًّا واعيًا، وهو شرط ضروري لعملية فهم الخطابات، فعملية إعادة إنتاج السِّياق التقليدي على وفق الدلالات الحديثة يعكس قيمة التخاطب ومقصدية التواصل، لكن المتحكِّم الأول والأخير هو المتلقي الملتقط للدلالات العميقة، وهُنا يكون النسيج اللُّغويّ محددًا للمسار التواصلي التفاعلي، أي تحديد عملية بناء النَّص وثيماته.

إنَّ ثيمة الجسد الأنثوي هي سلطة مكانية حاملة للأنساق الفكرية المضمرة، والتي يتمحور حولها محور المنع واللامنع، ومظاهر السلطة الذكورية وثوابتها، وعملية فك الشباك والفجوات العميقة تبدأ من تحرير التمركز المحوري، أي منطقة الصراع بين الذات الكاتبة والتلقي السلبي.

فما يشكله النظام التقليدي من خلل أو قصور في فهم السياق تسعى حداثة الكتابة إلى معالجته، وتحقيق منطق التوازن بين الوعي وسلطة التلقي، وجعل النَّص في مواجهة صريحة ومضمرة، وحصر التركيز في إبراز القيمة والدلالة، وإرساء الوعي الحديث الذي يعيد إنتاج الدلالة ويعكس قصدية التخاطب.

الكلمات المفتاحية: النَّصِ ، ثقافة الجسد ، إنتاجية الدلالة.

المقدمة

إنَّ بنية النَّصِ في السرد يتم بناؤها من المعطيات الثقافية المتعددة الضامنة لخصوصية الأداء السردي؛ إذ تلجأ الذَّوات الكاتبة إلى خلق التوازن الحقيقي بين غمار الاشتغال الحداثوي وارتباط القارىء ذهنيًا ولفظيًا مع لغة الخطاب؛ لأنَّهما يشكلان حلقتين متناغمتين ومتقاربتين، أَي مرسِل ومرسَل إليه وشريك في إنتاج المعنى المحدد لنوع القارئ والقراءة، فالطاقة الاستفهامية التي يضعها الكاتب أكان أنثى أم ذكرًا تسبق الرؤية واتساع الكتابة؛ لأن النَّص من وجهة نظره ((بمثابة عملية اختراق مزدوجة للبنية وللمخيّلة في آن واحد، فتحدث الكتابة بالمعنى المرئي ،وهي ليست إلا الكتابة المؤدية إلى المعرفة الدلالية الإرادية والواعية)) (مهيبل، ٢٠٠٧، صفحة ٧٩).

إنَّ المعنى في النَّص يحدد البعد الدلالي لحداثة الكتابة وإنتاجية القارئ، وهو أشبه بالنقد التفكيكي؛ لأن قارئ النَّصِ يحقق الممارسة النقدية المتعددة والجديدة، وهُنا يبعد قيمة النَّص الجمالية، وبالذات الذات الأنثوية عن نقطة الاختزال الجسدي وبعده الجنسي؛ لأن المقصدية تكمن في المعنى العميق وتفكيكه وفعل الاستجابة لحداثة الطرح والقراءة وإنتاج المعنى.

إذ لوحظ تصعيد للحالة الخطابية ومستويات الوعي وانفتاحه على أبعاد الأنساق الممارسة التي تؤسس المعنى النقيض، أي تعمل على توسيع الدلالة وخلق علاقة تفاعلية بين الذات وخطابها والذات والمتلقي "القارئ" والخطاب والمتلقي "القارئ" المنتج للقراءة الحديثة، فكلاهما شريك في إنتاج المعنى المحدد لنوع القراءة.

وعليه فإنَّ النَّصَّ لا يعني أنه يختزل صورة المرأة جسديا؛ إنما فاعلية التركيز يختزلها المشهد السردي من طاقة التشفير، وإيقاع القلق الانفجاري الكاشف عن سلوكيات الجسد وثقافته، والمحتوى الاستعاري المتمظهر عبر الجسد المساعد في تفعيل صورة المغامرة في لغة الخطاب داخل النَّصِّ.

ولأن القراءة النقدية لثقافة النَّص وحداثته ترتبط بإخراج الجسد الأنثوي من الإطار التقليدي، نجد الكاتبة "زينب حنفي" في مجموعتها "نساء عند خط الاستواء"، تبحث عن إشكالية تحول الرؤية المعرفية للمرسِل والمرسَل إليه، وسبر علاقتهما النصية داخل الرسالة؛ لأنهما كاشفان لكل الخطابات الداخلية المضمرة، وتأويل مكامن الاختراق والخطوط الدفاعية والفعل المضاد، وإزاحة الوعي المناهض للفكر التقليدي السابق، ومحاولتها تحديد دور وفاعلية التوسع في إعادة صياغة المعنى، وتحرير النَّص من الديناميكية النفسية المرتبطة بالفكر الأبوي وجنس المؤلف.

زينب حنفي: كاتبة وقاصة وروائية سعودية الجنسية، من مواليد جدة عام ١٩٦١م، تفتخر بأنها تمكنت من اختراق العقل المحلي والتابوهات المسيطرة فيه، لها مجموعة إصدارات هي: نساء عند خط الاستواء، رسالة إلى رجل ، قيدك أم حريتي ، الرقص على الدفوف، هناك أشياء تغيب، لم أعد أبكي، سيقان ملتوية، وسادة لحبك ، هل أتاك حديثي ،عقل سيء السمعة ، بالأمس كنت هنا، وغيرها من المؤلفات الشعرية والأدبية نتاجا لمقالاتها في الصحافة.

مشكلة البحث:

إنَّ النَّصِّ الحديث يذخر بأنساق دلالية مغايرة ذات قيمة ورؤية خاصة، ولأنَّ الذَّوات الكاتبة كانت أسيرة الصمت، سعت في العصر الحديث إلى البحث عن المساحة الخاصة في الفضاء السرديّ، وتحديد موقفها ورؤيتها وتموضعها كنواة كاشفة للسياقات الدلالية، أي إبراز المسكوت عنه والاحتفاء بمركزية الخطاب.

فروض البحث:

- ما المفهوم العام للجسد الأنثوي؟ وما علاقة الجسد بالثقافة في سياق النَّصِّ؟
- ما حدود لغة الخطاب الحديث، وهل لها أثر في إنتاجية القراءة الحديثة؟
- تستدعي الذات الكاتبة لغة الجسد لتوظيفها بما يتناسب مع طبيعة الرسالة القصدية المزمع تبليغها.

أهداف البحث وأهميته:

يسعى البحث إلى تقديم قراءة نقدية، والكشف عن الدلالة المستحدثة، واكتشاف مواطن التلقي عن طريق فك الشفرات، وتسليط الضوء على السياق العام والخاص المنتج للغة الخطاب، وناقله من صورته الواقعية إلى التصوير اللغوي الإبداعي.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج التحليلي.

مفهوم الجسد الأنثوي

يمثل الجسد مدلولاً رمزيًا ومكونًا ثقافيًا خاضعًا لقواعد دينية وتابوهات فكرية عبر الحضارات الإنسانية، وهذا ما جعله ثيمة بارزة وحقلاً واسعًا للتناقضات؛ لأن عملية التماهي فيه تأتي بهدف كشف البنيات المكبوتة والنزق والتعطش الداخلي، والتي يصعب على الذكر والأنثى بالذات الإفصاح عنها إلا عن طريق الكتابة، فمنطقة الاشتغال التي تسعى زينب الكاتبة "زينب حنفي" إلى إبرازها هو المعطى الموضوعي بمظاهره الحسية والمعنوية، وقوته التواصلية في الخطاب اللفظي الكتابي، فالنَّص يؤدي وظيفته الإرسالية الطبيعية وخلق حرية التعبير الكتابي، وهي بهذا تكسر كثيرًا من القوالب الجامدة التي تنظر إلى المرأة بوصفها وعاءً دون رغباتها وحريتها في التعبير الكتابي (محمد، ٢٠١٥، صفحة ٢١٢).

وعلى أساس ذلك يمكننا القول: إنَّ الجسد لا يمثل كيانًا فيزيقيًا ماديًا يقع خارج الحياة ومؤثراتها التفاعلية، أَو في الفراغ الخاص به، أَو السياقات الاجتماعية؛ أنما هو ركن مهم ورقم أساسي ومهم في الحياة لبناء العلاقات، وإثبات الوجود ونضوجه، يتشكل على وفق الثقافات المختلفة التي تقدمه كمخزون قيمي وإرثي في عملية التواصل المادية والحسية.

لقد حددت "ماري دوجلاس" في أحد مؤلفاتها مفهوما مطورًا؛ إذ ترى في الجسد أَنَّه ((مُستقبلاً للدلالات الاجتماعية ورمزًا للمجتمع، حيث تجادل بأنَّ الجسد البشري هو الصورة الأكثر جاهزية للنظام الاجتماعي، وتقترح عدة أفكار حول الجسد وأفكار المجتمع))، (شلنج، ٢٠٠٩، صفحة ١٠٦).

ولعل اختلاف دلالة الجسد ماديًا وحسيًا يعود إلى الظروف الموضوعية التي تتأسس عليها دلالة الجسد، فهناك منظران أساسيان يحددان طبيعة وجوده، وهما ما يميزان الجسد في "نساء عند خط الاستواء"، وهما كفيلان بحدوث الفعل ورد الفعل، وتفعيل الوظيفة الخطابية الحديثة المستهلّة في المتن، فقوة الخطاب تجعل النَّص مؤثرًا في نفس المتلقّي ويثير انفعالاته؛ لأَنَّ الرسالة الضمنية تجعله أكثر تفاعلا مع سياق الخطاب.

ومن منطلق ذلك تتحدد دراستنا في البحث عن محركات الجسد والحدث الجنسي: فعل غير محقق للرغبات المكبوتة، بوصفهما محورين أساسيين لكشف الدلالة المستحدثة في لغة الخطاب الأنثوي، وإعادة إنتاجية الدلالة ومركزيتها في النَّص.

المحور الأوَّل: محركات الجسد

يشكل الجسد منظومة ميكانيكية ذات تحكم ذاتي، أي عملية عكسية من الداخل إلى الخارج وبالعكس، ومحركات التحكم الذاتية تقسم على قسمين:

الأوَّل: المحركات المادية.

الثاني: المحركات الحسية.

إنَّ ممارسة الحياة بالشكل الطبيعي يتطلب من الذوات تغذية مستمرة والتغذية لها أنواع مختلفة قد يرتبط بعضها بالجوع ، والعطش والبعض الآخر بالجنس، وكلاهما يمثل جنبًا ماديًا ملموسًا لإحداث التغذية بشكلها الجزئي أو الإشباعي.

أَمَّا المحركات الحسية فهي الجانب المتواري غير الملموس، وظهوره يأتي كأداة ووسيلة تعبير؛ لأنَّ الذَّوات بوصفها كائنًا اجتماعيًا له القدرة على التواصل فحين ((تجد الآخر كما كانت تريده أنْ يكون، وإذا وجدته على غير ما تريده أن يكون ،فإنها تجهد من أجل تحويله ليكون على الصورة التي رسمتها له، وعلى الوضعية التي تريده أنْ يكون عليها)) (كاظم، ٢٠٠٤، صفحة ٥٥٠).

وأي تراكم في الصورة لا يعيق فعل الحداثة؛ لأنَّ محور التفكير الحداثوي يأتي من التفكير الواقعي، وهذا ما يدفع الذَّوات النسوية إلى اختزال النمطية المعتادة، وكأنها في صراع داخلي مستمر؛ مما يظهر بشكل واضح في نسق الخطاب، ورغبته في تخطي مكامن الضعف، وأوَّل ما يواجه الذات الجانب النفسي المتمثل بالمشاعر، فعملية إحالة الصورة النفسية من الداخل إلى الخارج في إطار تنظيمي يرتقي مع وعي قارئ النَّصِ، وهو يقرأ الانعكاس الحقيقي حول محور التفكير العقلي ومتطلبات الجسد.

فالصراع الداخلي بين الرغبة والنفور في قولها: ((استيقظت مبكرًا على سخونة جسده الملاصق لجسدي تناهى إلى سمعي صوت المطر المنهمر بالخارج، لم يتوقف عن التساقط منذ ليلة البارحة، ابتسمت، شعرت بسعادة تغمرني من أحداث الأمس، لم أتوقع الإقدام على مثل هذا الفعل. أزحت ذراعه المطوقة خصري برفق، نظرت إلى قسماته النائمة، حاولت إيقاظه بالعبث في شعر رأسه، الداكن اللون. نظر صوبي من تحت جفني عينيه المثقلتين، ثم أدار وجهه عني، مد ذراعه تجاه حقيبة صغيرة موضوعة على المنضدة بجواره، فتحها، غاص بيده فيها، أخرج حفنة من الدولارات، وضعها بجانبي، عاد للنوم مرة أخرى، شعرت بسخونة تسري في شراييني، إحساس بالخزي والعار يتملكني ، كأنني أتعرّى من ملابسي لأول مرة في حياتي)) (حنفي، د.ت، صفحة ٩).

يوضح لنا الفجوة التي تظهر واضحة في لغة الخطاب؛ لأنَّ الذات الكاتبة تركز على نسق الخطاب المضمر، وهو الجانب المسكوت عنه المعلن في رغبة بطلتها المتقدة، فتجعل قارئها يستشعر الصورة الحسية والنفسية في أثناء فعل الممارسة؛ لتحقق الرسالة الوظيفة الإخبارية في عملية التواصل؛ لأنَّ إدراك الذات "الأنثى" حين تتعرى ذاتيا أمام الآخر تدرك حقيقتها، وهُنا تصطدم في كل مرة أمام (العقل والقلب، النفي والتنافي)، فيشكل لديها حاجزًا نفسيًّا، فتجاوزها المجتمع وإيقاعه الداخلي لا يجدي نفعًا أمام تصوراتها الداخلية ونوبة محاولة الإقصاء.

ففكرة الارتباط في عملية الوصل ينبغي أن تكون في نسق خطابي واحد؛ كفكرة وموضوع مشترك حتى يتأسس الخطاب كمسند ومرجعية للخطاب الجديد، (كوهن، د.ت، صفحة ١٦١).

إنَّ البواعث النفسية قابلة للتأويل، فالقراءة الصورية المنتجة تحمل صورة المرسِل "الآخر" والمرسَل إليه "الأنثى"، والتي تتجه فيها الذات الكاتبة إلى إبراز الصورة النمطية القاتلة لمشاعر المرأة، ورغبتها في الآخر، ومنحها صفة الممارسة ونشاطها المستمر، فالافتراض العقلي يظهر من المظاهر الخادعة، والافتراضات التي تلقى على الوعي المرتبط بالانتظار ومرجعية الدال، (الشابندر، د.ت، صفحة ٢١)، وهذا ما يتأسس على وفق مساحة النفي التي يمنحها للأنثى عن طريق (الدولارات).

إنَّ حدود المواجهة ترتبط بالآثار النفسية التي تحرك رغبات الجسد وانزياحاته، والتي تقترب وتبتعد من وجهة نظر المجتمع، وهُنا الذات تحاول استرجاع الفكرة والمنظر، فتصف لنا الذات الكاتبة الصورة النفسية على لسان بطلتها بقولها: ((تذكرت ليلة الأمس .. كيف واتتني الجرأة على إزاحة الستار عن هذا الجسد، لشخص لا يربطني به عقد زواج!! هراء.. أعرف كثيرات يخنَّ أزواجهنَّ، لهنَّ علاقات خاصة، يبحثن عن متعهنَّ خارج أسوار الزوجية، يرفضن الاعتراف والخضوع لعقد الملكية. تبًّا للرجل، إن أعطته المرأة ازدراها بعد أن تُصيبه التخمة منها، وإن ضنَّت عليه اتهمها بالرجعية والتخلف، تُراني امرأة مبتذلة لتفكيري هذا!! منظر النقود يلوح في ذهني، يتملكني الغيظ والحنق))، (حنفي، د.ت، صفحة ١١).

إذ يشكل المقطع انعكاس صورة الذات النفسية وتحركاتها في أثناء ممارستها النشاط المختلف عن الواقع الاجتماعي؛ لأن إرضاء النفس هُنا نتاج لوعي المدرك، والمحرك لمسرح النشاط الداخلي، فاتجاه الأنثى نحو الانزياح التلقائي تلبية لحاجة جسدها وتحقيق شبقية كل جزء بعيدا عن التفكير بالعرف والتقليد العام.

إنَّ فعل الممارسة تحت شرعية العقد يعطي الذات شرعية، فتقع تحت الإطار والمسار السوي، إلا أن التصرفات الصبيانية والتصورات النفسية في أثناء رغبتها في الآخر تضعها في حدث استباقي قبل عملية إبرام أي عقد شرعي يجيز لها فعل الممارسة، وعليه فإنَّ الوصف هُنا يأتي محددًا للانعطافات العقلية الذاتية بقولها: ((أول مرة التقيت بزوجي كان في حفل مختلط، ذهبت دون علم أهلي، تحفّظت في الحديث معه، توجسي منه طغى على إعجابي به، نجح بيسر في إيقاعي بأساليبه المحترمة ،أحببته بعنف، من أول خلوة لنا سلمته نفسي، اخترقت العالم المجهول الذي حذرتني دومًا أمي من الاقتراب منه ،تذوقت المحظور بشغف بالغ، استمرت علاقتنا ثلاث سنوات، تقدّم بعدها لخطبتي بعد إلحاح شديد مني، طلقني بعد شهرين من زواجنا))، (حنفي، د.ت، صفحة ١٢).

تلجأ الذات إلى إبراز الأجواء النفسية بأسلوب سردي يحدد دور الرغبة والزمان؛ كعلامة دالة على التوقيت المادي، أي علاقة اعتباطية تفرض طرفين مرسل ومرسل إليه، فالزمن التزامني جعلها تستشعر رحيل الخطاب الجسدي؛ لأنها قرأت رؤية الآخر بشكل واعٍ بعيدًا عن الأحلام ومنطقة اللاوعي، وخطابه التكتيكي الذي دفعها إلى الدخول في منطقة التحدي، والاستمرار في الاستمتاعات الشبقية طوال ثلاث سنوات من دون عقد شرعي، فتجليات الوعي حدد لها المقاصد الموجهة، فبدأت تضغط عليه قبل غلق فضاء حاضرها المؤلم.

إنَّ عودة الذات إلى قراءة واقعها؛ لأنها بدأت تستوعب العملية الدينامية الفعالة، فالحركة المعقدة ((يتوقف حلها على الزمن ... وتوقعات تُحدد من خلالها معالم ذلك العمل. وكلما تقدمت عملية القراءة، تطورت هذه التوقعات تحت تأثير القراءة وبتأثير الدائرة التفسيرية – بتحركاتها من الجزء إلى الكل ومن ثمَّ إلى الجزء– عندما تشرع بالدوران))، (ايغلتن، ١٩٩٢، صفحة ٨٤).

وعليه فإنَّ قراءتها والتركيز على وضعية النشاط النفسي والجسدي كمكون لها ولحركيتها؛ ينم عن التفاعل الكيميائي مع علاقتها بالجسد المادي والحسي، فانعطاف الراوية في وصف الفكرة الوجودية للجسد المادي بقولها: ((أتيت باريس للترويح عن نفسي، عندما التقيتُ بهذا الرجل، لم تردعني وصايا أمي، وتهكمات مطلقي في معاودة تذوّق طعم التجربة من جديد. الطقس ازداد برودة ، قطرات المطر عادت للتساقط كالسيل العارم ، التصق ردائي المبلل بجسدي، أخذتُ ارتجف، أسناني تصطك، تذكرت أنني تركت مظلتي بالفندق ،لعنت تهوري الذي أوصلني إلى هذا الوضع))، (حنفي، د.ت، صفحة ١٣).

يتبين من الخطاب المرسل دقة الاستعمال للفظ الفعل في (أتيت، تردعني ،أوصلني)، التي قد تربط الذات الكاتبة فيها الخطاب؛ بقصد تأسيس إرادة الوضع المطلق ورغبتها المستمرة؛ لتحقق بوساطته نوعا من الخطاب الجديد من دون الاكتراث للمردود السلبي في أثناء عملية حدوث الفعل، وإن كان ارتباطها الذهني واللفظي كاشفًا لتوظيف تقنية الاسترجاع والتوجس للنظرة الأحادية على وفق قراءتها غير الواعية سابقًا، فجملة "لعنت تهوري الذي أوصلني إلى هذا الوضع" تستفز القارئ؛ لأنها تعكس الحالة النفسية المعاشة بعد التواصل القصدي، أي تعبير عن امتداد الوعي الداخلي إلى الخارج في لغة الخطاب، فينفتح الخطاب على المنظومة الماضوية بانزياح اللا متوقع.

إنَّ المرتكزات الحقيقية في الحشد اللفظي يدفعنا إلى الاستدلال على نقطة حسّاسة في الخطاب، وهي قيمة الدلالة النفسية ورغبتها المستفهمة التي نجدها تسيطر على خطاب الرفض الموظف في الصورة على وفق أسلوب تلقيها لرغبة الآخر: ((اقترب منها، حاول أن يمسك يدها، سحبتهما، شبّكت أناملها بعضها ببعض عند ركبتيها. لم تعلّق على حديثه، أصابها خرس عقد لسانها، كانت تود أن تصرخ فيه، أن تقول له: "أنت أكبر مخادع. كاذب. ما تقوله بين دفات كتبك شيء. وما تضمره شيء آخر، تُرى كم من الناس مخدوعون فيك؟ كم من الأفراد مؤمنون بحروفك النارية؟... اكتفت بالنظر صوبه باحتقار، ملأها شعور بالخيبة منه ، مدت يدها بلا تفكير، أمسكت كتابه الذي أهداه إليها، سقطت عيناها

على عنوان الكتاب "الطريق إلى الحرية"، أطلقت زفرة عميقة، ناولته إياه، قائلة بحزم "آسفة. لا أريد ممارسة هذا الجنون")) ، (حنفي، د.ت، الصفحات ٢٢-٢٣).

يختزل النَّصُّ العلاقة بين الفاعل والمفعول القائمة على الرفض فكلمة "سحبتهما" دلالة على اللاتبادلية النفسية والجسدية، فتجرد "الرجل" من القدرة على الفعل والتأثير، وتؤكد إعادة الفاعلية؛ لأنها تحت هيمنة المسوغات النفسية التي تحرك الجسد نحو الاتصال، وتجاوز الثقافة النمطية التي تحرك النزوح الفكري وتحولات الأنثى السياقية، وهُنا تتمكن الذات الكاتبة من تنظيم العلاقة الحداثوية بين الذات وجسدها وإرادة الجسد؛ لتحدث نوعا من التقابل الذاتي بين طبيعة الجسد والثقافة التقليدية، فمنزلة إسكان ومقاربة المشهد الصوري في جملة "لا أريد ممارسة هذا الجنون" يخترق عقلنة الوصف وعزل المؤثرات، وإنتاج وعي مدرك يؤمن بأهمية المنفعة المتبادلة في اقتناص الفرص التي يحاول الآخر الحصول عليها بوساطة الموهبة الفكرية.

إنَّ تعرِّي الآخر فكريا ينتج قراءة ذات خطاب مضاد يتحدد في دلالة الصمت التي تشكل جرس إنذار، فتمزج ما بين الحداثة الفكرية والمنطقية، وهُنا تنجح الذات الكاتبة في الحفاظ على الخط النمطي المجتمعي المتمثل في القيم الداخلية الرافضة للمبدأ والغاية، وهذا الأمر يجعل المسار الداخلي ينعكس بشكل تلقائي على الوعي الخارجي، فطبيعة الجنس وميوله الفطرية إنَّما هي طريق إلى وعي الذات بذاتها، فيوقظها على حقيقتها بشكل مباشر، (حرب، ٢٠٠٧، صفحة ٥٦).

إلا أَن الوعي لا يأتي على طبيعة واحدة، فحين تصف الذات الكاتبة صوت الخطاب الداخلي بقولها: ((جاءها صوت أنثوي قائلاً بدلال "هل مازلت متحاملة عليَّ؟". أدركت أن صاحبة القصر هي المتحدثة، تملكتها الحيرة "كيف أتصرف؟! ماذا أقول لها؟! هل أُلغي ما بداخلي من فطرة تجاه الرجل ... هل أقذف بكل ما تعلمته من قيم ومثل في حياتي، وأنغمس في بؤرة هذه الرذيلة؟! "صوت خافت من أعماقها ناداها" تمتعي بحياتك. العمر لحظة سرعان ما تذريها رياح الزمن))، (حنفي، د.ت، صفحة ٣٤).

يوضح النَّصُّ المنظومة الثقافية التي تتسيد على الفكر السوي؛ إذ تلتزم الذات هُنا بطبيعة الجنس وميوله، فتقدم لنا الكاتبة صورة متخيلة عن الشذوذ الجنسي المحرك لرغبات الجسد في الجنس المماثل، وتضع بطلتها في مفترق طرق بين ميلها الفطري نحو الرجل، ورغبة الآخر المماثل فيها، فتصف لنا عبر المنولوج الداخلي السلطة الزمنية بقولها: ((كانت عينا مها مصوبتين تجاه النافذة، حيث الشمس في انحدار للغروب، وأستار الليل تضفي ظلالها على الأرض، أيقنت جازمة أن الغروب لابد أن يتبعه شروق، وعندما يأتي الغد لابد أن يأتي فارس نبيل تغرد معه كل البلابل، مدت يدها، أغلقت في صمت سماعة الهاتف))، (حنفي، د.ت، صفحة ٣٤).

إنَّ الخطاب وتشكيله في النص يحدد للقارئ حيز الضعف والنكوص، ومحاولة إعادة السيطرة على الفكر المضاد؛ إذ تسعى الذات الكاتبة إلى جعل الغروب موتًا آخرَ يمثل الآخر غير السوي والشُّروق ولادة، وهي أشبه بالرسالة، والفارس هُنا انزياح إيجابي، فيجعل الذات تتجاوز ذبذبات الصوت المضاد ويتيح لها خلق الحوار الداخلي فتتجه الذات الكاتبة نحو الأطر التي قد تنصف شخصية الأنثى ((وتعيد لها القدرة على الدفاع عن وجودها المستقل، الَّذي اختزلته القوة الذكورية في عالم الأشياء))، (بعلي، ٢٠٠٧، صفحة ١٢١)، فتبدأ بعملية استبعاد الفكرة وإغلاق مسار الفكر المضاد والمغاير المهدد لها ماديًّا وحسيًّا.

ثانيا: الحدث الجنسي: فعل غير محقق للرغبات المكبوته.

إنَّ تركيز الذات الكاتبة على ثيمة الرغبة هو بمثابة انعطاف سياقي لإيضاح الحلقة الدائرية، ودوامة التحدي المسيطرة على العالم الخارج، وما تحاول استعراضه ينصب على الداخل المتمثل بالمواطن العميقة، والانكسارات النفسية التي تدفع الذوات إلى انزياحات فكرية وجسدية متتالية، ولتحقيق الجوانب المخفية والمستكينة تشرع الذات الكاتبة إلى تقديمِ خطابٍ ملفوظٍ محرّكٍ لفعل جنسي يستأثر الذات.

ففي قصة "طقوس غير شرعية" تجمع بين الجانب المادي والمعنوي؛ لتجسيد الصورة المتخيلة، فالتفاعل العقلي يأتي للتمركز وإغلاق العقل أمام تناغم الفوضى الفكرية التي أحدثت فجوة الاختراق، فيأتي الخطاب قائلا: ((مر على طلاقها عشر أعوام، تقدّم خلالها الكثير لخطبتها، وفي كل مرة تحدث أمور تعرقل إتمامه.

إنْ شاء الله سيتم زواجهما على يدي. لا تقلقي. أريدك أن تضعي ثقتك الكاملة بي. هل أحضرت شيئا من لوازمها؟!. أخرجت المرأة من حقيبتها ثوبا، قدمته للشيخ، قلبه بين يديه ثم وضعه بجانبه. اقترب من الفتاة، أخذ يتفرّس فيها بنظرات ثاقبة. له عينان حادتان، يعلوهما حاجبان كثيفان ... تسرّب إلى الفتاة خوف مبهم منه ، تمنّت لو تسحب أمها من ذراعها وتهرب من هذا المكان))، (حنفي، د.ت، الصفحات ٣٧-٣٨).

يكشف المقطع عن مواطن الاختراق التي تأتي كنسق سياقي؛ يوضح تركيز الذات على الخطاب السائد، فالقضايا الجزئية هُنا تجعل الذات تحاكي وتمتثل للآخرين، فتفقد حرية الرأي وإدارة الموقف، فتبدأ بالمكاشفة لإيجاد البديل، إلا أَن اختلاف الوعي بين الشخصيات يجعل النشاط بينهم مكتنزًا داخليًّا وخارجيًّا، وهذا الأمر لا يتناسب مع النفور العقلي الداخلي؛ إذ تبدأ بالرفض التدريجي بما يتناسب مع الحدث الجنسي، فيحمل الخطاب اللحظة الآنية التي تصف فيها القناع المستعمل ((طلب منها الشيخ أن تلزم الهدوء، وتقف دون حراك عند الكرسي الموضوع أمامه. أطفأ النور، شرعت بالهلع، صرخت ، نبهها إلى خطورة تكرار هذا الفعل ، استسلمت بخوف، كل ما بداخلها كان يرجف، وضع كفه على رأسها، بدأ في قراءة الطلاسم، لم تفلح في فهم معانيها، حتّى هيئته لم تتبينها في الظلمة الحالكة المهيمنة على المكان ... أعاد وضع كفه على رأسها، استمر في القراءة، أحست بأنفاسه تلفح وجهها... شعرت بكتلة من اللحم تجثم على صدرها، أنفاس ساخنة تلهب وجهها، رغبت في الصراخ، النهوض من رقدتها، لم تفلح، كانت أطرافها مخدرة ... لن أستطيع فك سحرك إلا بهذه الطريقة استمرت العملية دقائق، لم يتوقف خلالها عن قراءة طلاسمه، أحست خلالها بسائل ساخن يتدفق بين وركيها ، يكوي أعماقها، تسرّب لحظتها إلى دواخلها إحساس قاتل ، بأن روحها تدنست، كبرياءها تحطمت، وأَنها تسمع صوت تهشّم عظام عفتها))، (حنفي، د.ت، الصفحات ٣٩-٤٠).

ينسج الخطاب رمزية القناع المستعمل والذي يهدد الأنثى، ويحاول السيطرة على الوعي الخارجي، والوصول إلى اختراق الجسد كرسالة قصدية؛ لإحداث الحدث الجنسي وإنهاء الأزمة وما يثار من بواعث غير مدركة، فالفكر المغاير يسعى إلى الوصول، والحصول على الرغبة الذاتية متجاوزا نفور الأنثى، وخوفها النفسي في أثناء فعل الملامسة والمسبب في صنع المعنى؛ لأنَّ دلالة الصمت تضع القارئ أمام رأي تساؤلي يسمح بتعدد القراءة، فهل تمركز الذات حول الانغماس في الزمن النفسي أوقف الإدراك الحالي بإدراك مراحل اللحظة الآنية المهددة لعفتها، أم كانت اللحظة لديها مجرد حالة ذهنية، فالمحمول التمثيلي لمحاولة الآخر يشكل انغماسًا مضادًّا في حماقة المجتمع، وهو جانب من جوانب توظيف الخطاب التصاعدي المنتج للحداثة الفكرية، فالنقيض الحقيقي لا يمكن أن يتحقق من دون إنتاج تلك القراءة المستقبلية لتجاوز الحالات المماثلة، وهُنا تشد ذهن المتلقي إلى الخطاب الجديد وحالته المكثفة.

إنَّ المواجهة السلبية التي تتصاعد من خطاب الأم، ومحاولتها وعي وفهم حقيقة الوعي الفضائي المحيط بالجسد المندمج مع الذات في صمتها بعد صراخها؛ إذ ((قامت الأم على صراخ ابنتها، دخلت عليها الغرفة، وجدتها غارقة في عرقها، مصفرة الوجه، بدنها يرتجف تحت الغطاء، ضمتها إلى صدرها، أخذت تقرأ آية الكرسي وهي تُمسّد لها بكفها على رأسها. سألتها بجزع "ما بك؟" لم تجبها، كان بداخلها صراع مرير بين رغبتها في مصارحة والدتها بما جرى، وخوفها من تحذيرات الشيخ، زجَّت بجسدها تحت صنبور الماء، لتنظّف جلدها من بقايا الرجل النجسة. كانت حالتها تزداد سوءا ، فقدت شهيتها للأكل ،عيناها طول الوقت زائغتان، كأنهما تبحثان عن شيء مفقود، فكرها شارد، صامتة طول الوقت. اعتقدت الأم في البداية أن كل هذا يعود للكوابيس التي تصاحب ابنتها في منامها، تملكها القلق، تلاقت عيناها المتنمرتان القادحتان بالريبة والشك بعيني ابنتها المنكسرتين، اللتين تشعان هلعا. لم تجد إجابة شافية تطمئنها. استدعت الطبيب ليطفئ نيران هواجسها ، فحص الطبيب الفتاة بعناية، نظر صوب الأم قائلا: مبروك ابنتك حامل))، (حنفي، د.ت، الصفحات ٤١-٤٢).

لا يمكن انفتاح الخطاب من دون المشاركة في فاعلية الجسد المستمدة من قلة وعي الذات، وأحد أسباب عدم فهم المدركات هو ما تواجه الأنثى "الذات" من أزمة نفسية، تشكل محمولا دلاليا يتأسس عليه خطاب الجسد واستلابه القصري؛ لأنَّ العوامل المساعدة والفضاء البيئي إنَّما هي دوال تسهم في أحداث المكونين النفسي والجسدي، المنفعل والمتفاعل مع رغبة الأم ووجدانيتها، حتى بعد النكوص النفسي والجسدي.

ومما لا شك فيه أن الدلالات الرمزية في (آية الكرسي) تحقق القيمة الحقيقية لعملية التأثير والتأثر، وهو جانب مهم لكشف العلاقة النفسية المنبثقة، وهنا يتحقق الخطاب المضاد للفكر البدائي والوقت أيضا؛ إذ يشكل المنطوق عالما مماثلا للواقع المتعارف عليه في المجتمعات النمطية التي تخضع الأنثى، وهو المعنى الإرسالي المقصود.

إلا أن اندثار الصوت لم يمنع الذات من الاتكاء على الداخل؛ لتعيش صراعا داخليا ذا صدى ارتدادي يحقق لها عالمي الوعي واللاوعي، فتوازي ذاتها نفسيا بالتقرب من الماء، الذي يجعل دلالة النص مفتوحة على النسق البنائي، الذي يخرج الواقع القسري إلى البديل المتخيل، مما يجعلها في حالة من التمرد على ذاتها والآخر، مع عملية المقاربة التي تنجح الذات الكاتبة في تضمينها؛ لإبراز شبقية الجسد وأهميته في اكتمال الصورة، وتصنيف ما يتجه إليه البعض من الهوس الجسدي، (الغذامي، ٢٠٠٦، صفحة ٣٢).

ولعل تلك الأنساق في الخطاب الذهني يجدها القارئ في العقل الذكوري القارِّ في المجتمعات النمطية، التي ترفض التصريح المباشر عن خبايا الجسد ورغباته، وهُنا تتحدد لنا ثيمة الجسد بشكل صريح ومباشر، ففي قصة "امرأة على فوهة بركان" تضع الذات الكاتبة قارئها أمام ولع الأنثى بجسدها وإشفاقها على الاستكانة الطوعية، إذ تصف الراوية تلك الانفعالات واستكانتها بقولها: ((وقفت المرأة أمام المرآة، نظرت بحسرة إلى معالم جسدها، وقع بصرها على حلمتي ثدييها، لاحظت انتصابتهما، لوت شفتيها ،أدارت رأسها ناحية زوجها، كان يغطُّ في النوم، رشقته بقرف، صوت شخيره ضاعف نفورها، أشاحت بوجهها عنه، حشرت ثدييها في حمالة صدرها، أكملت ارتداء ملابسها، سحبت عباءتها من المشجب، دلفت إلى غرفة الجلوس، رمت عجيزتها على الأريكة ... ما إن أدارت المفتاح في باب الشقة ودلفت إلى الصالة حتى سمعت فحيحًا، يصدر من غرفة نومها، انقبض صدرها، مشت على أطراف أصابعها، وشعرت بالأرض تدور بها وعينيها تقعان على زوجها وفي أحضانه ترقد خادمتها الآسيوية على سريرها. أصابها الوجوم، قام يجري كالفأر المذعور، قدم بعدها اعتذارات وتبريرات واهية ... أصابها تبلُّد حسي تجاهه، برود غريب تسرب لأعماقها كلما حاول لمسها))، (حنفي، د.ت، الصفحات ٤٥-٤٦).

إنَّ الولوج إلى ثيمة الجسد محاولة للتركيز على الخطاب الحديث، والقدرة على استلهام مضامينه التي تتجاوز بها الذات الكاتبة العصور النمطية، وعليه فإنَّ تطويع الكتابة نحو إبراز ثيمة الجسد إنَّما هو تأسيس لفلسفة الكتابة الحديثة، وإخضاع الذات فكرياً من شبح التمركز، فتقديم جراءة السرد هنا يؤكد محاولتها لتجاوز الحدود، وإعادة صياغة الخطاب التفاعلي، إذ تدفع عجلة السرد إلى استقبال وإنتاج الذات لخطابها المضاد، وهي تستشعر منقوصاتها الذاتية؛ لأن المقصدية ضمنية في الرسالة الجسدية فجملة "نظرت بحسرة إلى معالم جسدها" رسالة قصدية مشفرة تهدف إلى إعلان المواجهة اللفظية والنفسية، والتنكر لحياء الأنثى وخجلها في نسج الدلالة المحركة لرغبات الجسد وعطشها الشبقي؛ إذ نجدها تؤسس مفاهيم خاصة عن طريق اللغة لإحداث التفاعل من دلالة "ثدييها، انتصابهما، شفتيها"، وانزياحها في الخطاب عن النسق الثقافي؛ ليكون إعادة إنتاجية القراءة التي تتوافق مع النص الحديث؛ لأن النص الحديث هو عملية نقل دلالة المفردة ((من الدلالة على الحدث المجردّ من الزمن إلى دلالتها على الاسمية، فأصبح في عُرف الأصوليين يدل على ما خوطب به))، (الرازي، د.ت، صفحة ج٢٦ : ١٨٦_ ١٨٨).

الخاتمة

_ إنَّ ثقافة النَّص وحداثته تتصل اتصالاً مباشرًا بإخراج الجسد الأنثوي من الإطار التقليدي، أي أنها تبحث عن إشكالية تحول الرؤية المعرفية للمرسِل والمرسَل إليه، وسبر علاقتهما النصية داخل الرسالة ، فهما كاشفان لكل الخطابات الداخلية المضمرة، وتأويل مكامن الاختراق والخطوط الدفاعية والفعل المضاد، وإزاحة الوعي المناهض للفكر التقليدي السابق، ومحاولتها تحديد دور وفاعلية التوسع في إعادة صياغة المعنى، وتحرير النَّص من الديناميكية النفسية المرتبطة بالفكر الأبوي وجنس المؤلف.

_ لقد ركزت الذات الكاتبة على نسق الخطاب المضمر، وهو الجانب المسكوت عنه المعلن في رغبة بطلتها المتقدة، فجعلت قارئها يستشعر الصورة الحسية والنفسية في أثناء فعل الممارسة؛ لتحقق رسالة الوظيفة الإخبارية في عملية التواصل.

_ استطاع المتن إبراز أثر الانفتاح في لغة الخطاب المعتمد كليًّا على فاعلية الجسد المستمدة من قلة وعي الذات وعدم فهم المدركات، فكان النَّص كاشفاً للفجوات العميقة والتي جعلة الشخصية "الأنثى" تواجه أزمة نفسية، فشكلت إمام القارئ محمولا دلاليا يتأسس عليه خطاب الجسد واستلابه القصري.

المراجع

- تيري ايغلتن. (١٩٩٢). مقدمة في النظرية الأدبية (المجلد الأولى). (إبراهيم جاسم العلي، المترجمون) بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- جان كوهن. (د.ت). بنية اللغة الشعرية. (محمد العمري محمد الولي، المترجمون) المغرب: دار توبقال للنشر.
- حفناوي بعلي. (٢٠٠٧). مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- زينب حنفي. (د.ت). نساء عند خط الأستواء.
- عبد الله الغذامي. (٢٠٠٦). المرأة واللغة (المجلد ٣). الدار البيضاء: لمركز الثقافي.
- علي حرب. (٢٠٠٧). التأويل والحقيقة " قراءات في الثقافة العربية. بيروت: دار التنوير.
- عمر مهيبل. (٢٠٠٧). من النسق إلى الذات قراءات في الفكر الغربي المعاصر (المجلد الأولى). الجزائر: منشورات الاختلاف.
- غالب الشابندر. (د.ت). الجسد. لبنان_ بيروت: دار ومكتبة البصائر.
- فخر الدّين الرازي. (د.ت). التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) (المجلد الأولى). بيروت: دارالكتب العلمية.
- كرس شلنج. (٢٠٠٩). الجسد والنظرية الاجتماعية (المجلد الأولى). (منى البحر ونجيب الحصادي، المترجمون) القاهرة: دار العين.
- مازن مرسول محمد. (٢٠١٥). حفريات في الجسد المقموع مقاربة سوسيولوجية ثقافية (المجلد الأولى). الجزائر: منشورات الاختلاف.
- نادر كاظم. (٢٠٠٤). تمثلات الآخر صورة السود في المتخيّل العربي الوسيط (المجلد الأولى). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.